والعلاقة بالمتلقي من مشكلات الفن. بعض الفنّانين يـزعم أنه يغـرد أو يئنّ... ككائنات الطبيعة الاخرى فلا يرى ضرورة لأن يدرك الآخرون عطاءه. وبعض آخر منهم يشكّل الاتصال والتأثير أشدّ همومه أرقاً. والحق ان الشعر، كما تقول اليزابيت درو، هو أقدم ضروب النقل والتوصيل ويجب أن تكون غايته، أو رسالته، دائماً، تبليغ التجربة الانسانية وتوصيلها[٥]. وهو، كما يقول الشاعر المغربي عبداللطيف اللعبي: «... ليس عملية ثقافية ذاتية، أي عملية تحضير أرواح، بل هو عملية تواصل... المشكل الاساسي هو كيفية الايصال والتوصيل، معرفتـك بالواقع... فهمك للواقع، رؤياك للواقع، لكل الناس ولأبسط الناس»[٦]. أما البروفسور أ. مياسنكوف فيرى انه «بـدون قراء جمـاهيريـين لا يوجد أدب. وعندما يتعلق الأمر بتربية شخص بصورة متناسقة التطور فإن دور الأدب والفن في عملية التطوير هذه يكبر حتماً»[٧]. وإيليوت نفسه يقول: «ولكن لا الشاعر ولا العالم يملك الاقتناع الكافي الذي يعينه على الاستمرار في عمله دون ان يكون فيه فائدة للمجتمع»[٨].

والفنان الذي يأرق كي يحقق الاتصال بالمتلقي والتأثير فيه، عليه أن يستجيب لشروط المحيط الفني الذي لا ينفكّ يتكوّن؛ ويعني هذا أيضاً ان يكون أحد الفاعلين في تكوُّن هذا المحيط، أي عليه أن يستجيب لذوقٍ وأن يرعى ذوقاً ويربّيه في الوقت نفسه. يصدق القول هذا على الفن بشكل عام، وهو أكثر صدقاً على القولي منه بخاصّة؛ إذ ان الكلمة، وسيلة هذا الأخير في التعبير والاتصال، تشترط الفهم كي تتحقق. الفهم ضروري في الفن القولي؛ وهو اكثر ضرورة في الثوريّ منه، إذ ان الفنان، في هذه الحالة، يقصد التأثير الايجابي إن على صعيد الادراك أو على صعيد الاحساس.

والمشكلة هذه ليست مشكلةً طارئةً في تاريخ الأدب والفن، فقدكانت، ولا تزال، من اكثر هموم الفنان تنغيصاً لهدأته. فعلى الصعيد العالمي يمكن ذكر بريخت الذي كان يسمّي الوسائل الفنية المستخدمة للوصول إلى المتلقي الدهاء الفني.

وعلى الصعيد العربي، يمكن التحدّث عن استخدام السلطان السياسي، ابتداءً من العصر الاموي، لشعراء محترفين استخدموا الشكل التقليدي للقصيدة الجاهلية المفضّلة من الجمهور كي يصبّوا فيها ما يريده السلطان من معاني سياسية. ويمكن التحدث ايضاً عن الكميت بن زيـد الأسدي الذي كان داعية ثورة والذي استخدم أساليب فنية عدّة كي يرضي الرواة ويجبرهم عـلى نشر شعره. وفي العصر الحـديث يقول اللعبي: «... أصبحت حريصاً على أن لا تقف وسائلي التعبيريّة حجر عثرة في وجه التواصل»[٩].

ليس من أغراض هذه الدراسة أن تفصّل في التطرّق إلى هذه المشكلة. وإن هي إلا ملاحظة أدرجت هنا لضرورتها، وأريد منها ان تضع ظاهرةً تعاني منها حركة الأدب العربي الحديث، والشعر منه بخاصة، في إطارها الصحيح. والظاهرة التي نعني، في هذا المقام، يمكن وضعها تحت العنوان التالي: عجز المتلقّي عن عبور المستويين الهجـائي والصوتي للنّص إلى مستوياته الأخرى؛ أو تحت عنوان: عجز النص عن الوصول إلى إحساس القارىء وإدراكه وفهمه. ويمكن تسمية هذه الحالة بـ:كساح النّص. والظاهرة